﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾

[الصافات: 19 - 24]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

ذِكْرُ بعضِ أحوالِ البعثِ بعدَ الإخبارِ بوقوعِهِ

لمّا بيَّنَ تعالى ما يدلُّ على إمكانِ البعثِ، ثمَّ أردفَهُ بما يدلُّ على وقوعِهِ؛ ذكرَ في هذهِ الآياتِ بعضَ تفاصيلِ أحوالِ القيامةِ[1]، فالكلامُ تخلُّصٌ مِنَ الإنذارِ بحصولِ البعثِ، إلى الإخبارِ عمّا يحلُّ بهم عَقِبَهُ إذا ثَبَتوا على إنكارِهم لهُ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾: الوَيْلُ: حُلولُ الشَّرِّ[3]، والقبحُ والتَّعْسُ، وقد يُستعمَلُ في التَّحسُّرِ، وفي العذابِ[4]. ومَنْ قال اللّه تعالى فيه (ويل) فقدِ استحقّ مقرًّا من النّار، وثبت ذلك له[5]. والمرادُ بهِ هنا: سوءُ الحالِ[6].

2) ﴿ٱلدِّينِ﴾: (دين) أصلٌ يدلُّ على الانقيادِ والذُّلِّ[7]، ومِنْ ذلكَ: الدّينُ، وهو الطّاعةُ، ويُطلَقُ على الجزاءِ أيضًا[8]، وعلى الشَّريعةِ[9]. والمرادُ بيومِ الدّينِ: يومُ الجزاءِ[10]، وهو يومُ القيامةِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 325.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.
(3) الخليل، العين: (ويل).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (ويل).
(5) الرّاغب، المفردات: (ويل).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زجر).
(8) الخليل، العين: (دين).
(9) الرّاغب، المفردات: (دين).
(10) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 39، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 96.

3) ﴿ٱلۡفَصۡلِ﴾: (فصل) أصلٌ يدلُّ على تمييزِ الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ وإبانتِهِ عنهُ[1]، حتَّى يكونَ بينَهما فُرْجةٌ[2]، ومنهُ المفاصلُ مِنْ أعضاءِ البدنِ، والواحدُ: مَفْصِلٌ[3]، والفصلُ: تمييزُ الحقِّ مِنَ الباطلِ[4]، والمرادُ بيومِ الفصلِ: يومُ القضاءِ والفرقِ بينَ فِرَقِ الهدى والضَّلالةِ[5]، وهو يومُ القيامةِ.

4) ﴿ٱحۡشُرُواْ﴾: الحَشْرُ: الجَمْعُ[6]، والمَحْشرُ: المَجْمَعُ الَّذي يُحْشَرُ إليهِ القومُ[7]، والحَشْرُ أيضًا: إخراجُ الجماعةِ عن مَقَرِّهم، وإزعاجُهم عنهُ إلى الحربِ ونحوِها، ويقالُ ذلكَ في الإنسانِ وغيرِهِ، كقولِكَ: حَشَرَتِ السَّنَةُ مالَ بني فلانٍ، أي: أزالَتْهُ عنهُم[8]. والمرادُ بالحَشْرِ هنا: جمعُ المُتفرِّقينَ إلى مكانٍ واحدٍ[9].

5) ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾: (زوج) أصلٌ يدلُّ على مقارنةِ شيءٍ لشيءٍ[10]، فيقالُ لكلِّ واحدٍ مِنَ القرينينِ مِنَ الذَّكرِ والأنثى في الحيواناتِ المتزاوجةِ: زوجٌ، ولكلِّ قرينَينِ فيها وفي غيرِها: زوجٌ، كالخُفِّ والنَّعْلِ، ولكلِّ ما يقترنُ بآخرَ مماثلًا لهُ أو مُضادًّا: زوجٌ. والمرادُ بـ (أزواجهم): أقرانُهم المقتدونَ بهِم في أفعالِهم[11]، أو حلائلُهم المشركاتُ، أو المقارنونَ لهُم مِنَ الشَّياطينِ[12].

6) ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾: (جحم) أصلٌ يدلُّ على الحرارةِ وشدَّتِها[13]، ومِنْ ذلكَ: الجحيمُ، وهي شدَّةُ توقُّدِ النّارِ[14]، واسمٌ مِنْ أسماءِ النّارِ[15]، وطبقةٌ مِنْ طبقاتِها، وهو المرادُ هنا[16].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فصل).
(2) الرّاغب، المفردات: (فصل).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (فصل).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: (فصل).
(6) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (حشر).
(7) الخليل، العين: (حشر).
(8) الرّاغب، المفردات: (حشر).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زوج).
(11) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (زوج).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.
(13) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جحم).
(14) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (جحم).
(15) الجوهريّ، الصّحاح: (جحم).
(16) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 469.

7) ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: (وقف) أصلٌ يدلُّ على تمكُّثٍ في شيءٍ[1]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: وقَفْتُ القومَ أقِفُهم وقْفًا[2]، ووقَفْتُ الدّابَّةَ أقِفُها وُقوفًا ووَقْفًا[3]. والمرادُ بالوقفِ هنا: الحَبْسُ[4]، وإيقافُ السَّيرِ بهِم[5].

8) ﴿مَّسْـُٔولُونَ﴾: السُّؤالُ: استدعاءُ معرفةٍ أو ما يُؤدّي إلى المعرفةِ، واستدعاءُ مالٍ أو ما يُؤدّي إلى المالِ، ويقالُ: تساءَلوا، إذا سألَ بعضُهم بعضًا[6]. والمرادُ بالسُّؤالِ هنا: سؤالُهم عن عقائدِهم وأعمالِهم[7]، أو ما فسَّرتْهُ الآيةُ الَّتي بعدَها، وهي قولُهُ تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصّافات: 25][8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خيبةُ المشركينَ يومَ القيامةِ وسوءُ حالِهم ومآلِهم

يُخبرُ ﷻ عن كيفيَّةِ حصولِ البعثِ، وعن بعضِ أحوالِ المشركينَ المُنكِرينَ بعدَ حصولِهِ، فيقولُ: فإنَّما هي نفخةٌ واحدةٌ في الصّورِ، وهي النَّفخةُ الثّانيةُ، فإذا هم أحياءٌ ينظرونَ إلى ما كانوا يوعَدونَ بهِ مِنْ قيامِ السّاعةِ، ولمّا رأوْا ما كانوا يُنكِرونَهُ قالوا في حسرةٍ وندمٍ: يا هلاكَنا، هذا يومُ الجزاءِ الَّذي وُعِدْنا بهِ، ثمَّ قالَ اللّهُ لهُم أو الملائكةُ، أو قالَ بعضُهم لبعضٍ: هذا يومُ الفصلِ بينَ الحقِّ والباطلِ، وبينَ الخلقِ الَّذي كنتم في الدُّنيا تستبعدونَهُ، وتُكذِّبونَ بهِ.

ثمَّ يأمرُ اللّهُ تعالى الملائكةَ أنْ تُميِّزَ الكفّارَ مِنَ المؤمنينَ في الموقفِ في المحشرِ، فيقولُ: اجمعوا الَّذينَ كفروا وأمثالَهم مِنْ أهلِ الشِّركِ، أو أزواجَهم الكافراتِ، أو أقرانَهم مِنَ الشَّياطينِ، وما كانوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وقف).
(2) الرّاغب، المفردات: (وقف).
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وقف).
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 329.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 102.
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (سأل).
(7) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 8.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 102.

يعبدونَ مِنَ الأصنامِ والأوثانِ، اجمعوهم في مكانٍ واحدٍ، ودُلّوهم على طريقِ النّارِ ليسيروا فيهِ، وقِفوهم حتَّى يُسألوا عن أعمالِهم وأقوالِهم الَّتي صدرَتْ عنهُم في الدُّنيا، أو حتَّى يُسألوا عن سببِ عدمِ تناصرِهم في هذا اليومِ العظيمِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في قوله ﴿فَإِنَّمَا﴾:

إنَّ أجلَ اللهِ لآتٍ

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فصيحةٌ واقعةٌ في جوابِ شرطٍ مُقدَّرٍ، والتَّقديرُ: إذا كانَ ذلكَ فإنَّما هي زجرةٌ واحدةٌ[2]، وفي الحذفِ إشارةٌ إلى سرعةِ حصولِ البعثِ، بِطَيِّ ما يكونُ قبلَ الكلامِ الدّالِّ على الوقوعِ.

البعثُ مُتيقَّنٌ لكونِهِ هيِّنًا

ويحتملُ أنْ تكونَ الفاءُ سببيَّةً، سبَّبَ عن تحتُّمِ الوعدِ ما يدلُّ على كونِهِ هيِّنًا، فقالَ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾، أي: يكونُ ذلكَ بسببِ أنَّهم يُزجَرونَ فيقومونَ[3].

البعثُ وشيكُ الحصولِ

ويحتملُ أنْ تكونَ تفريعيَّةً؛ فرَّعَ على إثباتِ البعثِ الحاصلِ بقولِهِ: ﴿نَعَمْ﴾؛ أنَّ بَعْثَهم وشيكُ الحصولِ، لا يقتضي معالجةً ولا زمنًا، إنْ هي إلّا إعادةٌ تنتظرُ زجرةً واحدةً[4].

ما يحصلُ بنفخةٍ لا يُستصعَبُ

ويحتملُ أنْ تكونَ تعليلًا لنَهيٍ مُقدَّرٍ، أي: (لا تَستصعِبوهُ؛ فإنَّما هي زجرةٌ... إلخ)[5]. ويحتملُ أنْ تكونَ تفسيرًا وتفصيلًا للبعثِ[6].

بلاغةُ الالتفاتِ:

مقامُ الغضبِ يستدعي الإعراضَ وتعميمَ الوعيدِ

قولُهُ تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ إمّا مِنْ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 25، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 8.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 38، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 326.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 205.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 99.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 187، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 77.
(6) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 264.

تتمَّةِ المَقولِ، وإمّا ابتداءُ كلامٍ مِنَ اللّهِ ﷻ[1]. وعلى الاحتمالِ الأوَّلِ يكونُ في الكلامِ التفاتٌ مِنَ الخطابِ في ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ إلى الغَيبةِ؛ لأنَّ المقامَ مُؤذِنٌ بالغضبِ، فصُرِفَ الكلامُ عن خطابِهم؛ جعلًا لهُم بمحلِّ البُعدِ عن ساحةِ القُرْبِ والحضورِ، وليكونَ الكلامُ شاملًا لهُم ولغيرِهم[2].

مرجعُ الضَّميرِ ﴿هِيَ﴾:

تعظيمُ شأنِ البعثِ

تحتملُ ﴿هِيَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ألّا ترجعَ إلى شيءٍ، بل هي ضميرُ القصَّةِ، وهو مُبْهَمٌ، يوضِّحُهُ ويُفسِّرُهُ ما بعدَهُ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[3]، ونُكتةُ التَّعبيرِ بضميرِ القصَّةِ: تشويقُ السّامعِ إلى معرفةِ المُفسِّرِ؛ ليتمكَّنَ عندَ ورودِهِ عليهِ فضلَ تمكُّنٍ، وذلكَ يلائمُ مقامَ التَّنصيصِ على كونِ البعثِ يسيرًا هيِّنًا في ميزانِ قدرةِ اللّهِ، وفيهِ أيضًا تعظيمٌ لشأنِ البَعثةِ؛ لأنَّ ضميرَ القصَّةِ يُستعمَلُ فيما إذا كانَ مضمونُ الجملةِ شيئًا عظيمًا يُعتنَى بهِ[4].

البَعثةُ زجرةٌ واحدةٌ

وتحتملُ أنْ تكونَ راجعةً إلى شيءٍ يدلُّ عليهِ السّياقُ، وهو البعثةُ المفهومةُ مِنْ قولِهِ: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، إي: فإنَّما البَعثةُ زَجْرةٌ[5].

بلاغةُ الإخبارِ بالزَّجْرةِ:

الإخبارُ عنِ المُسبَّبِ بالسَّببِ

إذا جُعِلَتْ ﴿هِيَ﴾ في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ راجعةً إلى البَعثةِ المفهومةِ مِنَ السّياقِ؛ فقد بولِغَ في الإخبارِ عنها بأنَّها زَجْرةٌ، ووجهُ المبالغةِ: أنَّهُ لمّا كانَتْ بَعثتُهم ناشئةً عن الزَّجْرةِ جُعِلَتْ إيّاها مجازًا[6]، فأُخبِرَ بالسَّببِ عن المُسبَّبِ؛ لبيانِ قوَّةِ السَّببيَّةِ بينَهما.

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 264، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 77.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 206.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 38، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(4) التّفتازانيّ، المطوّل: 1/ 559.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 7.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 96، والسّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 299.

بلاغةُ المجازِ في الزَّجْرة:

الزَّجْرةُ مستعارةٌ للنَّفخةِ

المرادُ بالزَّجْرةِ في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ النَّفخةُ الثّانيةُ في الصّورِ، وفي التَّعبيرِ عنها بالزَّجْرةِ مجازٌ؛ لأنَّها مأخوذةٌ مِنْ زَجَرَ الرّاعي غَنَمَهُ، إذا صاحَ عليها[1]، فتكونُ استعارةً[2].

نُكتةُ تنكيرِ ﴿زَجْرَةٌ﴾:

تقليلُ شأنِ النَّفخةِ في الصّورِ

تنكيرُ ﴿زَجْرَةٌ﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ للتَّحقيرِ، أي: فإنَّما هي زَجْرةٌ حقيرةُ الشَّأنِ، والغرضُ مِنْ ذلكَ تهوينُ شأنِ البعثِ؛ لاستنزالِ طائرِ كِبْرِ المشركينَ وعنادِهم، ومقابلةِ استعظامِهم لبعثِهم وبَعْثِ آبائِهم الأوَّلينَ باستحقارِ شأنِ هذا البعثِ، وبيانِ أنَّهُ هباءٌ في جانبِ قدرةِ الخالقِ ﷻ.

نُكتةُ الوصفِ بـ﴿وَاحِدَةٌ﴾:

العظيمُ في جنبِ قُدرةِ اللهِ حقيرٌ

وُصِفَتِ الزَّجْرةُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ بأنَّها واحدةٌ؛ لتأكيدِ ما تفيدُهُ صيغةُ الفَعْلةِ مِنْ معنى المرَّةِ؛ لدفعِ توهُّمِ أنْ يكونَ المرادُ مِنَ الزَّجْرةِ الجنسَ دونَ الوجودِ؛ لأنَّ وزنَ (الفَعْلة) يجيءُ لمعنى المصدرِ دونَ المَرَّة[3]، ولدفعِ توهُّمِ تكرارِها، ولتوكيدِ عدمِ الحاجةِ في بَعْثِ الموتى إلى أكثرَ مِنْ زَجْرةٍ واحدةٍ، وفي ذلكَ مِنَ المبالغةِ في تحقيرِ أمرِ البعثِ في جنبِ عظَمةِ اللّهِ تعالى وقدرتِه ما لا يخفى[4].

بلاغةُ القصرِ:

البَعثةُ ليستْ شيئًا إلّا زَجْرةً واحدةً

القَصْرُ في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قصرُ موصوفٍ – وهو البَعثةُ المفهومةُ مِنَ السّياقِ – على صفةٍ، وهي الزَّجْرةُ الواحدةُ، والغرضُ مِنْ هذا القَصرِ المبالغةُ في تهوينِ أمرِ البَعثةِ، بإظهارِ أنَّها ليسَتْ شيئًا إلّا زَجْرةً واحدةً.

---

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 7.

(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 265.

(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 239، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.

(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 205.

براعةُ التّعبير بالجملةِ الاسميَّةِ:

كـــونُ الـبَـعـثِ زَجْرةً أمرٌ قطعيٌّ

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الباري جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ قَصْرَ البَعثةِ على كونِها زَجْرةً واحدةً أمرٌ ثابتٌ لا شكَّ فيهِ، فحقُّهُ أنْ يُخبَرَ عنهُ كما يُخبَرُ عن الحقائقِ القطعيَّةِ اليقينيَّةِ.

معنى الفاءِ:

القـيـامُ مُسبَّبٌ عن الزَّجْرةِ

الفاءُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ للسَّببيَّةِ[1]، وهي دالَّةٌ على التَّرتيبِ بلا مُهلةٍ[2]، فتُفيدُ أنَّ النَّظرَ يتسبَّبُ عنِ الزَّجْرةِ، ويَعْقُبُها دونَ تَوانٍ.

دلالةُ (إذا):

سرعـةُ حصولِ الـنَّـظـرِ بـعـدَ الزَّجْرةِ

(إذا) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ للمفاجأةِ، ونُكتةُ التَّعبيرِ بها: الدّلالةُ على سرعةِ حصولِ النَّظرِ، بعدَ الزَّجْرةِ بلا توقُّفٍ[3].

نُكتةُ تقديمِ الضّميرِ ﴿هُمْ﴾:

نـظـرُ المبعوثينَ حاصلٌ يقينًا

قُدِّمَ المبتدأ على الجملة الفعليّة في قولِهِ تعالى: ﴿هُمْ يَنظُرُونَ﴾؛ لإفادةِ تقوّي الحكمِ، وهو النَّظرُ؛ لأنَّ ﴿هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يتضمَّنُ الإخبارَ عنهُم بأنَّهم ينظرونَ، وفي ﴿يَنظُرُونَ﴾ ضميرٌ راجعٌ إلى ﴿هُمْ﴾، فيُفيدُ نسبةَ النَّظرِ إليهِم مرَّةً أُخرى، فكأنَّهُ قيلَ مرَّتينِ: هم ينظرونَ، هم ينظرونَ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالنَّظرِ:

الحقائقُ تَظهرُ عَـيـانًـا يـومَ القيامةِ

يحتملُ قولُهُ تعالى: ﴿يَنظُرُونَ﴾ أنْ يكونَ مِنَ النَّظرِ بالأبصارِ، أي: ينظرونَ ما هم فيهِ، فيَّتضحُ لهُم صِدْقُ ما كانوا يُكذِّبونَ بهِ مِنَ البعثِ[4]، أو ينظرونَ ما يحدثُ بهِم، أو ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ[5].

---

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 8.

(2) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 239.

(3) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 239، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.

(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 468.

(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 326.

ويحتملُ أنْ يكونَ بمعنى الانتظارِ، أي: ينتظرونَ ما يُفعَلُ بهِم[1]، فيُفيدُ الكلامُ تهويلَ ذلكَ المشهدِ العظيمِ، ببيانِ أنَّ المصيرَ مجهولٌ، وأنَّ الكلَّ ينتظرُ ما يأمرُ بهِ مالكُ يومِ الدّينِ الواحدُ القهّارِ. والأوَّلُ هو الظّاهرُ.

المُـلْـكُ يـومَ الـقـيـامـةِ لـلـهِ الواحدِ القهّارِ

بلاغةُ الكنايةِ:

في قولِ الباري ﷻ: ﴿يَنظُرُونَ﴾ كنايةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ النَّظرَ كنايةٌ عن الحياةِ الكاملةِ؛ لأنَّ النَّظرَ لا يكونُ إلّا معَ تمامِ الحياةِ[2]، فكأنَّهُ قيلَ: فإذا هم أحياءٌ.

النَّظرُ يكونُ معَ تمامِ الحياةِ

سرُّ تخصيصِ النَّظرِ بالذِّكرِ:

خُصَّ النَّظرُ مِنْ بينِ بقيَّةِ الحواسِّ بالذِّكرِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ لأنَّهُ لا يكونُ إلّا معَ كمالِ الحياةِ، وأمّا السَّمعُ فقد يكونُ للموتى[3]، ولمزيدِ اختصاصِ النَّظرِ بالمقامِ، وهو التَّعريضُ بما اعتراهُم مِنَ البَهتِ لمشاهدةِ الحَشْرِ[4].

يومُ القيامةِ يومُ رؤيـةِ الأهـوالِ والحقائقِ

غرضُ التَّعبيرِ بالمضارعِ:

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ للدّلالةِ على تصويرِ هذا المشهدِ البديعِ العجيبِ[5]، وهو قيامُ الأمواتِ مِنْ قبورِهم أحياءً ينظرونَ، كما كانوا ينظرونَ في حالِ الحياةِ في الدُّنيا، وفي ذلكَ مِنَ المبالغةِ في تصويرِ قدرتِهِ تعالى ما لا تُحيطُ بهِ العبارةُ.

تصويرُ مشهدِ الإحـيـاءِ بـعـدَ الموتِ

دلالةُ الواوِ في ﴿وَقَالُواْ﴾:

يجوزُ أنْ تكونَ الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾ للحالِ، أي: قائلينَ:

نـظـرُ المُـنْـكِـريـنَ بـعـدَ الـبـعـثِ مـصـحـوبٌ بـالـتَّـحـسُّـرِ والخوفِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 468، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 96.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 206.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(5) البقاعيّ، نظم الدرر: 16/ 206.

يا ويلَنا[1]، وفائدةُ الحالِ بيانُ أنَّ نظرَهم مصحوبٌ بالتَّحسُّرِ والفَزَعِ الشَّديدِ.

ويجوزُ أنْ يكونَ عطفًا على جملةِ ﴿يَنظُرُونَ﴾[2]، فيُفيدُ الكلامُ أنَّ ما يترتَّبُ على الزَّجْرةِ أمرانِ، هما: النَّظرُ وقولُهمُ الكلامَ المذكورَ هنا.

استعقابُ الزَّجْرةِ النَّظرَ والتَّحسُّرَ

تعيينُ فاعلِ ﴿وَقَالُواْ﴾:

ضميرُ الفاعلِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ﴾ للمبعوثينَ المُنكرينَ للبعثِ[3]، أي: يقولُ جميعُهم: يا ويلَنا، يقولُهُ كلُّ أحدٍ عنهُ وعن أصحابِهِ[4].

المُنكِرونَ أهلُ الوَيْلِ يومَ الحَشْرِ

سرُّ التَّعبيرِ بالماضي:

جيءَ بصيغةِ المُضيِّ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿وَقَالُواْ يَوَيْلَنَا﴾، معَ أنَّ هذا القولَ سيقعُ في المستقبلِ عندَ قيامِ السّاعةِ، ولم يقعْ بعدُ؛ إعلامًا بتحقُّقِ الأمرِ تحقُّقَ ما مضَى وكانَ[5]؛ لأنَّ المُخبِرَ هو اللهُ ﷻ الَّذي لا خلافَ في إخبارِهِ.

نداءُ المُنكِرينَ للوَيْلِ مُتيقِّنٌ

بلاغةُ التَّعبيرِ بالوَيْلِ:

عُبِّرَ بالوَيْلِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿يَوَيْلَنَا﴾؛ لِما في هذهِ الكلمةِ مِنَ الدّلالةِ على سوءِ الحالِ؛ لأنَّها تقالُ عادةً وقتَ الهَلَكةِ[6]، فيكونُ الإتيانُ بها هنا ملائمًا لمقامِ التَّعبيرِ عمّا يُصيبُ المُنكرينَ للبعثِ مِنَ الحَسْرةِ عندَ رؤيةِ أنفسِهم قد بُعِثوا، وعادوا أحياءً كما كانوا في الدُّنيا، فيُصبحُ شكُّهم يقينًا، ويعلمونَ صِدْقَ كلِّ ما أخبرَ بهِ النَّبيُّ ﷺ، ومِنْ جملةِ ذلكَ إخبارُهُ بما أُعِدَّ لهُم مِنَ العذابِ، فيوقنونَ أنَّهم على شَفا جُرُفٍ هارٍ مِنْ جهنَّمَ.

المُنكِرونَ للبَعثِ في ثُبورٍ عظيمٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 206، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 239، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 77.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 206، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 77.
(6) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 120.

نُكتةُ إضافةِ الويلِ إلى ضميرِ المنكرينَ:

الهلاكُ مختصٌّ بالمُنكِرينَ

إضافةُ الوَيْلِ إلى ضميرِ المُنكِرينَ للبعثِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾؛ لبيانِ أنَّ الهلاكَ مختصٌّ بهم لكفرِهم وتكذيبِهم، وأمّا المؤمنونَ بالبعثِ العاملونَ للصّالحاتِ فهُم في أمانٍ.

تعيينُ قائلِ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾:

مَنْ أيقنَ بالعذابِ المُحلِّدِ طلبَ الهلاكَ

يحتملُ أنْ يكونَ قولُهُ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ وقولُهُ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ مِنْ كلامِ الكفرةِ[1]، وبناءً على ذلكَ يكونُ ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ استئنافًا جاريًا مَجْرَى التَّعليلِ لنداءِ الهلاكِ، أي: وإنَّما نادَيْنا الهلاكَ؛ لأنَّ هذا اليومَ يومُ الجزاءِ[2]، ولذلكَ فُصِلَتِ الجملةُ عمّا قبلَها، ولم تُعطَفْ عليهِ، و﴿تُكَذِّبُونَ﴾ واردٌ على طريقِ الالتفاتِ مِنَ التَّكلُّمِ إلى الخطابِ، أو على أنَّهُ ممّا قالَهُ بعضُهم لبعضٍ[3].

العذابُ النَّفسيُّ قرينُ العذابِ الجسديِّ

ويحتملُ أنْ تكونَ الجملتانِ مِنْ كلامِ الملائكةِ لهُم[4]، أو مِنْ كلامِ اللهِ، والكلامُ واردٌ على سبيلِ التَّقريعِ والتَّوبيخِ، والتَّخسيرِ والتَّحسيرِ، فهو مِنْ جملةِ العقابِ النَّفسيِّ الَّذي يكونُ لهُم؛ إذ عقابُهم لا يقتصرُ على العقابِ الجسديِّ، و﴿تُكَذِّبُونَ﴾ حينَئذٍ على ظاهرِهِ.

ويحتملُ أنْ يكونَ ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ مِنْ كلامِ الكفرةِ، و﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ مِنْ كلامِ الملائكةِ أو مِنْ كلامِ اللهِ جوابًا لهُم عن قولِهم: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾[5]، و﴿تُكَذِّبُونَ﴾ حينَئذٍ على ظاهرِهِ أيضًا، والمرادُ بهذا الجوابِ التَّوبيخُ والتَّقريعُ والتَّعريضُ بالوعيدِ[6].

---

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 38، 39، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 120.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 239، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 77.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 299.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 38، 39، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 120.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 38، 39، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 120.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.

لا تنفعُ الوَلْوَلةُ يومَ القيامةِ

ويحتملُ على بُعْدٍ أنْ يكونَ ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ فقطٌ مِنْ كلامِ الكفرةِ، وما بعدَهُ مِنْ كلامِ اللّهِ تعالى أو كلامِ الملائكةِ لهُم، والمرادُ: بيانُ أنَّهُ لا تنفعُهم الوَلْوَلةُ والحَسْرةُ[1].

بلاغةُ اسمِ الإشارةِ للقريبِ:

ما كانَ بعيدًا صارَ قريبًا

الإشارةُ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ إلى اليومِ المُشاهَدِ[2]، والتَّعبيرُ باسمِ الإشارةِ للقريبِ تنبيهٌ على حضورِ اليومِ، وأنَّهُ قريبٌ منهُم قُرْبَ المُلابِسِ، بعدَما كانوا يُكذِّبونَ بهِ في الدُّنيا، ويرونَهُ بعيدًا مُستبعَدًا، وها هي نفوسُهم تتقطَّعُ فيهِ حَسْرةً وأسًى على هذا التَّكذيبِ والاستبعادِ، كأنَّهم يقولونَ: هذا اليومُ الواقعُ هو الَّذي كنّا لهُ مُستبعِدينَ فيما مضَى. ونظيرُ ذلكَ أنَّ مَنْ خوِّفَ بشيءٍ ولم يلتفتْ إليهِ، ثمَّ عاينَهُ بعدَ ذلكَ؛ فإنَّهُ يقولُ: هذا يومُ الواقعةِ الفلانيَّةِ. وأيضًا اللّهُ تعالى قالَ في سورةِ الفاتحةِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 4]، فبيَّنَ أنَّهُ لا مالكَ في ذلكَ اليومِ إلّا اللّهُ، فقولُهم هنا: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ هذا هو اليومُ الَّذي لا حُكمَ فيهِ لأحدٍ إلّا للّهِ، وإنَّما ذكروهُ لِما حصلَ في قلوبِهم مِنَ الخوفِ الشَّديدِ[3].

نُكتةُ إضافةِ اليومِ إلى ﴿ٱلدِّينِ﴾:

الإضافةُ لأدنَى مُلابَسةٍ

إضافةُ اليومِ إلى ﴿ٱلدِّينِ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ لأدنَى مُلابَسةٍ، أي: أقلِّ ارتباطٍ، وهو وقوعُ الجزاءِ في هذا اليومِ.

نُكتةُ تعريفِ ﴿ٱلدِّينِ﴾:

الحسابُ الأعظمُ حسابُ يومِ القيامةِ

الظّاهرُ أنَّ تعريفَ ﴿ٱلدِّينِ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ للعهدِ؛ لأنَّ المرادَ بهِ الحسابُ والجزاءُ المعهودُ الَّذي يكونُ يومَ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 78.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 100.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 326.

القيامةِ، بحيثُ لا يتبادرُ الذِّهنُ إلى غيرِهِ؛ إذ هو الحسابُ الأكبرُ الأعظمُ الَّذي لا يُدانيهِ حسابٌ آخرُ.

غرضُ التَّعبيرِ بالاسميَّةِ:

مخالطةُ اليقينِ قلوبَ المُنكِرينَ يومَ القيامةِ

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؛ لدلالتِها على الثَّباتِ المناسبِ للمقامِ؛ إذِ المقامُ مقامُ اعترافٍ بالحقِّ، ومقامُ حسرةٍ وندامةٍ على التَّفريطِ في جنبِ اللهِ، وعلى التَّكذيبِ بيومِ الحَشْرِ. وتدلُّ الجملةُ أيضًا على أنَّهُ قدِ انقلبَ شكُّ المُكذِّبينَ في الدُّنيا إلى يقينٍ راسخٍ ثابتٍ بعدَ معاينةِ ما كانوا بهِ يُكذِّبونَ، وليسَ الخبرُ كالمعاينةِ. هذا إنْ كانَتِ الجملةُ مِنْ مَقولِهم كما هو الظّاهرُ.

تقريعُ المُبطِلينَ بتقريرِ الحقائقِ

وإنْ كانَتْ مِنْ مَقولِ الملائكةِ أو اللهِ لهُم فالكلامُ واردٌ على جهةِ التَّقريعِ والتَّوبيخِ بالإخبارِ بهذهِ الحقيقةِ، فيُلائمُهُ أيضًا الثَّباتُ المُفادُ بالاسميَّةِ.

نُكتةُ فصلِ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾:

يومُ القيامةِ يومُ جزاءٍ وفصلٍ بينَ العبادِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافُ كلامٍ جديدٍ؛ للإخبارِ عن يومِ القيامةِ بأنَّهُ يومُ الفصلِ بعدَ الإخبارِ عنهُ بأنَّهُ يومُ الدّينِ. وهذا إنْ كانَ الكلامُ مِنْ مَقولِ الكفرةِ. وأمّا إنْ كانَ مِنْ كلامِ اللهِ تعالى أو الملائكةِ فالاستئنافُ أظهرُ؛ لاختلافِ القائلِ المُستدعي فصلَ الكلامينِ وتمييزَهما من بعضِهما.

نكتةُ تكريرِ اسمِ الإشارةِ واليومِ:

شـدَّةُ فَـزَعِ المُـكـذِّبـينَ يـومَ القيامةِ

إنْ كانَ قولُهُ تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ مِنْ كلامِ الكفرةِ؛ فتكريرُ اسمِ الإشارةِ واليومِ للتَّأكيدِ، والدّلالةِ على ما داخلَهم مِنَ الهَوْلِ والفَزَعِ، بحيثُ صاروا يُردِّدونَ ما يدلُّ على سببِ هَوْلِهم وفَزَعِهم، ولزيادةِ التَّحسُّرِ على ما فاتَهم مِنَ التَّصديقِ النّافعِ بهذا اليومِ[1]، ولبيانِ استقلاليَّةِ اتِّصافِ يومِ القيامةِ بكلٍّ مِنَ الوصفينِ، ولو لم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 207.

يُكرَّرْ وقيلَ: (هذا يومُ الدّينِ والفصلِ)... إلخ؛ لربَّما ظُنَّ أنَّ الوصفَ الثّانيَ غيرُ مقصودٍ، وإنَّما هو تابعٌ للأوَّلِ. وأمّا إنْ كانَ مِنْ كلامِ اللّهِ أو مِنْ كلامِ الملائكةِ فكلٌّ مِن اسمِ الإشارةِ واليومِ تأسيسٌ لا تأكيدٌ.

بلاغةُ إضافةِ اليومِ إلى ﴿ٱلْفَصْلِ﴾:

تلبُّسُ يومِ القيامةِ بالفصلِ بينَ الخلائقِ

إضافةُ اليومِ إلى ﴿ٱلْفَصْلِ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ لأدنَى مُلابَسةٍ، أي: أقلِّ ارتباطٍ، وهو وقوعُ الفصلِ بينَ الخلائقِ وبينَ الحقِّ والباطلِ في هذا اليومِ.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْفَصْلِ﴾:

الفصلُ الأعظمُ ما يكونُ يومَ القيامةِ

الظّاهرُ أنَّ تعريفَ ﴿ٱلْفَصْلِ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ للعهدِ؛ لأنَّ المرادَ بهِ الفصلُ المعهودُ بينَ الخلائقِ، وبينَ الحقِّ والباطلِ، الَّذي يكونُ يومَ القيامةِ، بحيثُ لا يتبادرُ الذِّهنُ إلى غيرِهِ؛ إذ هو الفصلُ الأعظمُ الَّذي لا يُدانيهِ فصلٌ آخرُ.

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

مُكذِّبُ الحقِّ مذمومٌ

جيءَ بالاسمِ الموصولِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ للتَّوصُّلِ إلى ذَمِّ الكفرةِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ[1]، وهو تكذيبُهم بيومِ الفصلِ الَّذي لا ينبغي أنْ يَشُكَّ في حقّيَّتِهِ ووقوعِهِ عاقلٌ، وللتَّنبيهِ على علَّةِ ما هم فيهِ مِنَ الخوفِ والفَزَعِ ومقاساةِ الشَّدائدِ والأهوالِ؛ إذِ الأمنُ يومئذٍ خاصٌّ بأهلِ الإيمانِ والتَّصديقِ، ولا يظلمُ ربُّكَ أحدًا.

نُكتةُ إدخالِ فعلِ الكونِ الماضي على المضارعِ:

التَّكذيبُ جِبلِّةٌ في الكافرينَ

أُدخِلَ فعلُ الكونِ الماضي على المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، ولم يُقَلْ: (كذَّبتم)؛ للدّلالةِ على رُسوخِ التَّكذيبِ في الكفرةِ، وأنَّهُ كانَ فيهِم طَبْعًا وجِبلَّةً[2]، وأنَّهم كانوا مُستمرّينَ عليهِ،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 96.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 207.

مُجدِّدينَ لهُ، كما هو مُقتضَى صيغةِ المضارعِ في ﴿تُكَذِّبُونَ﴾، وكأنَّ التَّكذيبَ لم يُفارِقْهم يومًا واحدًا في حياتِهم، إلى أنْ ماتوا عليهِ.

معنى الباءِ:

الكفرةُ مُلتبِسونَ بالتَّكذيبِ

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ للمُلابَسةِ، فتُفيدُ أنَّهم جعلوا مُعتقَدَهم بيومِ الحشرِ مُلتبِسًا بالتَّكذيبِ والجحودِ.

نُكتةُ تقديمِ ﴿بِهِۦ﴾:

التَّكذيبُ بيومِ الفصلِ جُرْمٌ عظيمٌ

قُدِّمَ شِبهُ الجملة ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿تُكَذِّبُونَ﴾؛ للاهتمامِ بالمُقدَّم، والإشارةِ إلى عظيمِ تكذيبِ الكفرةِ بيومِ الفصلِ[1]، ولمراعاةِ الفاصلةِ.

نُكتةُ فصلِ ﴿ٱحْشُرُواْ﴾:

الانتقالُ لحالٍ آخرَ مِنْ أحوالِ الكفرةِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ موجَّهٌ لمُخاطَبٍ جديدٍ، ومَسوقٌ لغرضٍ آخرَ، وهو بيانُ حشرِ الكفرةِ وأزواجِهم ومعبوديهم، فلا يَصلُحُ للتَّعلُّقِ بشيءٍ ممّا قبلَهُ.

تعيينُ المُخاطِبِ والمُخاطَبِ:

الملائكةُ مأمورونَ بحشرِ الكفرةِ ومعبوديهم

الظّاهرُ أنَّ الآمِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هو اللّهُ تعالى صاحبُ الأمرِ والنَّهيِ والسُّلطانِ المُطلَقِ في ذلكَ اليومِ العظيمِ، والمأمورَ هم الملائكةُ الموكَّلونَ بالحسابِ والجزاءِ[2].

نُكتةُ الإيجازِ بحذفِ القولِ:

التَّعجيلُ بمَساءةِ المشركينَ

في قولِ الباري ﷻ: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ إيجازٌ بحذفِ القولِ؛ لأنَّ ﴿ٱحْشُرُواْ﴾ أمرٌ، وهو يقتضي آمِرًا، أي: ناطقًا بهِ، فهذا مَقولٌ لقولٍ محذوفٍ[3]، والتَّقديرُ: (قلنا احشُروا)، أو بحذفِ النِّداءِ؛ إذ المُنادَى هو الملائكةُ على الظّاهرِ، والتَّقديرُ: (يا ملائكةُ احشُروا). ونُكتةُ هذا الإيجازِ: بيانُ سرعةِ إذلالِ المشركينَ، مِنْ غيرِ تنفيسٍ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 207.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 39، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 207.

دلالةُ الأمرِ بالحشرِ:

سوءُ المصيرِ مآلُ المشركينَ

الأمرُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ للوجوبِ؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا مُقتضيَ للعدولِ عنهُ، بل سياقُ العظَمةِ والكبرياءِ والغضبِ يقتضيهِ، فيُفيدُ الكلامُ أنَّهُ ينبغي على الملائكةِ حشرُ الظّالمينَ ومَنْ عُطِفَ عليهم مِنْ أماكنِهم المختلفةِ إلى موقفٍ واحدٍ. والغرضُ مِنْ هذا الأمرِ تهيئةُ المشركينَ للسَّيرِ إلى مصيرِهم البائسِ الَّذي ينتظرُهم.

سرُّ التَّعبيرِ بالحشرِ:

إذلالُ المشركينَ بجمعِهم بعدَ تفرُّقِهم

عُبِّرَ بالحشرِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ لدلالتِهِ على جمعِ الكفرةِ المُتفرِّقينَ إلى مكانٍ واحدٍ[1]، معَ كُرْهٍ وذُلٍّ وصَغارٍ[2]؛ لأنَّهُ حاصلٌ لهُم بفعلِ غيرِهم، ولو أُريدَ تكريمُهم بعضَ التَّكريمِ لأُمِروا بالاجتماعِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي:

الكفرةُ مُستحِقّونَ لِما أُعِدَّ لهُم

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ ظلمَ الكفرةِ واقعٌ مُتيقَّنٌ؛ لأنَّهم أصرّوا عليهِ في حياتِهم الدُّنيا، وماتوا عليهِ، وفي ذلكَ مزيدُ مبالغةٍ في بيانِ استحقاقِهم لِما أُعِدَّ لهُم يومَ القيامةِ.

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

الكفرُ وبالٌ على صاحبِهِ يومَ القيامةِ

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ لذمِّ المشركينَ بما في حيِّزِ الصِّلةِ، وهو ظلمُهم المرادُ بهِ الكفرُ، وللتَّنبيهِ على علَّةِ حشرِهم وإذلالِهم، وهي الكفرُ[3]، وللإشارةِ أيضًا إلى اشتهارِهم بهذا الوصفِ، حتَّى كأنَّ كلَّ أحدٍ يعلمُ اتِّصافَهم بهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 208.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 208.

معنى الواوِ في ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾:

اقترانُ أهلِ السّوءِ مِنْ جملةِ العذابِ

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ بمعنى (مَعَ)، والأزواجُ مفعولٌ معَهُ، أي: معَ أزواجِهم، أو للعطفِ، والأزواجُ معطوفٌ على الاسمِ الموصولِ[1]. وفي المعيَّةِ زيادةُ فائدةٍ، وهي بيانُ الاقترانِ في الحشرِ بينَهم وبينَ أزواجِهم.

بلاغةُ ذِكْرِ الأزواجِ:

الطُّيورُ على أشكالِها تقعُ

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالأزواجِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ القُرَناءُ والأشباهُ، وذلكَ بأنْ يُضَمَّ عندَ الأمرِ بالحشرِ كلُّ شكلٍ وصاحبٍ مِنَ الكفرةِ إلى شكلِهِ وصاحبِهِ[2]؛ فعابدُ الصَّنمِ معَ عَبَدَةِ الصَّنمِ، وعابدُ الكوكبِ معَ عَبَدَتِهِ... إلخ[3]؛ ليُبكِّتَ بعضُهم بعضًا، ويلعنَ بعضُهم بعضًا، ويشتمَ بعضُهم بعضًا[4]، وليكونَ عقابُهم واقعًا عليهم حالَ الاجتماعِ، كما كانَتْ عبادتُهم لِما دونَ اللّهِ في الدُّنيا على هيئةِ الاجتماعِ أيضًا.

كلُّ نفسٍ بما كسبَتْ رهينةٌ

وإنْ كانَ المرادُ بالأزواجِ الحلائلَ فالمقصودُ الأزواجُ الموافقاتُ لهُم في الإشراكِ، وذِكْرُهنَّ إبلاغٌ في الوعيدِ والإنذارِ؛ لئَلّا يَظنّوا أنَّ النِّساءَ المشركاتِ لا تَبِعَةَ عليهنَّ[5]؛ فكلُّ نفسٍ بما كسبَتْ رهينةٌ.

معنى الواوِ في ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾:

المعبودُ الباطلُ محشورٌ أيضًا

الواوُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ للعطفِ، وفي هذا العطفِ مبالغةٌ في بيانِ أنَّ الحشرَ يشملُ العابدَ والمعبودَ الباطلَ، ولا يقتصرُ على العابدينَ، وذلكَ يُنبئُ عن كمالِ اقتدارِهِ ﷻ، وعمومِ سَخَطِهِ على الشِّركِ وأهلِهِ.

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 299.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 468.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 8.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 208.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 101.

سرُّ حشرِ المعبودينَ مِنْ دونِ اللهِ:

غَـمُّ المشركينَ يـومَ القيامةِ سرمديٌّ

يدلُّ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ على حشرِ المعبودينَ مِنْ دونِ اللّهِ تعالى، وحشرُهم زيادةٌ في تحسيرِ العَبَدَةِ وتخجيلِهم[1]؛ لأنَّهم كلَّما رأوْا معبوديهم معَهم في النّارِ عَلِموا أنَّ سببَ عذابِهم السَّرمديِّ هو هؤلاءِ، فيزدادونَ حسرةً وندامةً على ما فاتَ منهُم مِنَ المَيْلِ عن الحقِّ الثّابتِ بأبهرِ الآياتِ، إلى الأباطيلِ الَّتي ليسَ لهُم للعُكوفِ عليها دليلٌ غيرُ التَّقليدِ للآباءِ[2].

دلالةُ الموصولِ:

المُحسِنونَ مُبعَدونَ عن النّارِ

لفظُ (ما) في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ اسمٌ موصولٌ، وهو عامٌّ في كلِّ معبودٍ، حتَّى الملائكةُ والمسيحُ وعزيرٌ، لكنَّهُ خُصَّ منهُ البعضُ بقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: 101][3]، فهؤلاءِ لا يُحشَرونَ معَ عَبَدَتِهم، وهذا إنْ أُريدَ بـ (ما) ما يشملُ العاقلَ وغيرَهُ، وإنْ أُريدَ بها غيرُ العقلاءِ فقطْ فلا تخصيصَ[4].

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

قلّةُ شأنِ المعبودينَ مِنْ دونِ اللهِ

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾؛ لإظهارِ التَّهاونِ بالمعبودَيْنِ مِنْ دونِ الباري ﷻ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ الكبرياءِ، وبيانِ تفرُّدِهِ سبحانَهُ بالمُلكِ في ذلكَ اليومِ العظيمِ.

نُكتةُ دخولِ فعلِ الكونِ الماضي على المضارعِ:

مواظبةُ الكفرةِ على عبادةِ الأصنامِ

أُدخِلَ فعلُ الكونِ الماضي على المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾، ولم يُقَلْ: (وما عَبَدوا)؛ للدّلالةِ على أنَّ الكفرةَ كانوا

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 8، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 78.
(2) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 241.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 8، والخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 265.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 103.

مواظبينَ على عبادةِ الأصنامِ والأوثانِ[1]، مُستمرّينَ عليها، مُجدِّدينَ لها، حتَّى صارَتْ كالجِبِلَّةِ فيهِم؛ رجاءَ أنْ يكونَ فيها نفعٌ لهُم، ففي تذكيرِهم بذلكَ في هذا المقامِ زيادةٌ لحسرتِهم حينَ يرونَ هذهِ الأصنامَ محشورةً معَهم، لا تملكُ لهُم ضَرًّا ولا نفعًا.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿مِن دُونِ﴾:

سَفَهُ رأيِ عَبَدةِ الأوثانِ

عُبِّرَ بـ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ للإشارةِ إلى سُفولِ رتبةِ معبوداتِهم[2] عن أدنى رتبةٍ مِنْ رُتَبِ المُستجمِعِ لصفاتِ الكمالِ ﷻ، أو للدّلالةِ على إشراكِهم باللهِ تعالى؛ لأنَّ معنى ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معَ اللهِ؛ لأنَّ كلمةَ ﴿دُونِ﴾ تُؤذِنُ بالحيلولةِ؛ لأنَّها بمعنى وراءَ، فإذا قالوا: عَبَدَهُ مِنْ دونِ اللهِ، فالمعنى: أنَّهُ جعلَهُ بعضَ حائلٍ عن اللهِ، أي: أشركَهُ معَ اللهِ؛ لأنَّ الإشراكَ يستلزمُ الإعراضَ عن اللهِ في أوقاتِ الاشتغالِ بعبادةِ ذلكَ الشَّريكِ، أو للتَّنبيهِ على أنَّهم عَبَدوا الأوثانَ المتَّصفةَ بالخِسَّةِ والضَّعفِ والهَوانِ، مُتجاوِزينَ عبادةَ اللهِ تعالى. وأيًّا ما كانَ، ففي هذا التَّعبيرِ مِنْ تسفيهِ عقولِهم وآرائِهم ما لا يَخفَى.

معنى ﴿مِن﴾:

أشـدُّ صـوَرِ ظُـلـمِ النَّـفسِ الإعـراضُ الكلّيُّ عـن المستـحِقِّ للعبادةِ

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ صِلةٌ لتأكيدِ نفي عبادةِ اللهِ تعالى بالكليّة، أي: لم تقع منهم أدنى عبادةٍ لله تعالى، وتمحّضت عبادتُهم خالصةً لمعبوداتهم التي اتخذوها باطلًا.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

شناعةُ ظلمِ مَنْ عبدَ غيرَ اللهِ

جيءَ بلفظِ الجلالةِ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ لزيادةِ التَّوبيخِ لعَبَدةِ الأوثانِ، حيثُ تركوا عبادةَ مَنْ يستحقُّ العبادةَ، وأشركوا بهِ ما لم يُنزِّلْ بهِ سلطانًا، أي: مِنْ دونِ الَّذي تفرَّدَ بنُعوتِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 208.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 208.

العظَمةِ، وصفاتِ الكمالِ والجلالِ[1]، وهم بذلكَ واضعونَ للعبادةِ في غيرِ محلِّها، ولذلكَ وُصِفوا بالظُّلمِ.

دلالةُ الفاءِ:

خُسْرانُ المشركينَ ظاهرٌ مُحتَّمٌ

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ للعطفِ، وهي تفيدُ التَّعقيبَ، وفيها إشارةٌ إلى سرعةِ الأمرِ بالمشركينَ ومَنْ معَهم إلى النّارِ عَقِبَ ذلكَ الحشرِ[2]؛ لأنَّ خُسْرانَهم ظاهرٌ، وحُجَّتَهم داحضةٌ عندَ ربِّهم؛ إذِ المشركونَ لا يُرجَى لهُم فلاحٌ، ولا يُؤذَنُ لهُم فيَعتذرونَ.

دلالةُ الأمرِ بالهدايةِ:

سوءُ مآلِ المشركينَ

الأمرُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ للوجوبِ؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا مُقتضي للعدولِ عنهُ، فيُفيدُ الكلامُ أنَّهُ يجبُ على الملائكةِ هدايةُ المشركينَ ومَنْ معَهم إلى صراطِ الجحيمِ. والغرضُ مِنَ الأمرِ بالهدايةِ دلالةُ المشركينَ على مصيرِهم ومآلِهم؛ ليكونَ ذلكَ أعظمَ في نكدِهم.

بلاغةُ الاستعارةِ في الهدايةِ:

مَنْ فرَّطَ بهدايةِ الخيرِ استوجبَ هدايةَ الشَّرِّ

في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ استعارةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ معناهُ في الأصلِ: فعرِّفوهم طريقَ النّارِ حتَّى يسلكوها، وفي التَّعبيرِ عن التَّعريفِ بالهدايةِ تهكُّمٌ بهِم، وتوبيخٌ لهُم[3]. ووجهُ التَّهكُّمِ: أنَّ الهدايةَ بالمعنى اللُّغويِّ هي التَّعريفُ والدّلالةُ بلُطْفٍ، ولذلكَ تُستعمَلُ في الخيرِ، واستعمالُها في الشَّرِّ هنا واردٌ على سبيلِ التَّهكُّمِ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 208.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 102.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 39.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 242، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 102.

دلالةُ ﴿إِلَىٰ﴾:

غايةُ سعيِ المشركينَ عذابُ الحريقِ

حرفُ الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ يدلُّ على الغايةِ، فيُفيدُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أنَّ غايةَ كلِّ ما سبقَ مِنَ الحشرِ والهدايةِ بلوغُ المشركينَ محلَّ إقامتِهم السَّرمديَّ، وهو النّارُ، ويا لَخسارةِ مَنْ كانَتْ نهايةُ سعيِهِ عذابَ الحريقِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في الصِّراطِ:

المشركونَ في طريقِ العذابِ والهلاكِ

الصِّراطُ في الأصلِ هو الطَّريقُ الَّذي لا اعوجاجَ فيهِ، وفي التَّعبيرِ بهِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ تهكُّمٌ بالمشركينَ[1]؛ إذ إطلاقُهُ يوهِمُ أنَّهم يسيرونَ إلى خيرٍ مُذلَّلٍ طريقُهُ، والواقعُ أنَّهم يسيرونَ إلى هلاكِهم وخُسرانِهم.

نُكتةُ الإضافةِ:

كثرةُ حسرةِ المشركينَ وعويلِهم

في إضافةِ الصِّراطِ إلى الجحيمِ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ بيانٌ أنَّ المشركينَ يسيرونَ يومَ القيامةِ في طريقٍ عُرِفَ واشتهرَ بأنَّهُ يقودُ إلى الجحيمِ، وفي ذلكَ فَتٌّ في عَضُدِهم، وزيادةٌ لحسرتِهم وعويلِهم؛ إذ يوقنونَ أنَّهُ سيُؤدّي بهِم إليها[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالجحيمِ:

نارُ الآخرةِ شديدةُ التَّوقُّدِ بعيدةُ القَعْرِ

عُبِّرَ بالجحيمِ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ دونَ غيرِها مِنْ أسماءِ نارِ الآخرةِ؛ للدّلالةِ على شدَّةِ توقُّدِ النّارِ، وبُعْدِ قَعْرِها، وتراكمِ بعضِها فوقَ بعضٍ، واشتمالِها على داخليها وتضايقِها، وفيهِ تهكُّمٌ بهِم في كونِهم على غيرِ ما كانوا عليهِ في الدُّنيا مِنَ التَّناصرِ والتَّعاضدِ[3].

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 265، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 206.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 209.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 209.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾:

شأنُ نارِ الآخرةِ عظيمٌ

الجحيمُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ علَمٌ بالغلَبةِ على نارِ الآخرةِ، فيكونُ التَّعريفُ فيها للدّلالةِ على كمالِ الجنسِ في المُعرَّفِ، وأنَّهُ فائقٌ في جنسِهِ.

بلاغةُ عطفِ ﴿وَقِفُوهُمْ﴾:

كثرةُ أهوالِ يومِ القيامةِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ معطوفٌ على ما قبلَهُ، والواوُ لمُطلَقِ الجمعِ، ولا تقتضي ترتيبًا، فلا يَرِدُ أنَّ وقوفَهم للسُّؤالِ مُقدَّمٌ على سَوْقِهم في طريقِ الجحيمِ، وظاهرُ النَّظمِ عكسُهُ. ونُكتةُ مخالفةِ التَّرتيبِ الذِّكريِّ للتَّرتيبِ الواقعيِّ: التَّنبيهُ على شدَّةِ هَوْلِ الهدايةِ إلى الجحيم[1]، ولذلكَ قُدِّمَتْ في الذِّكرِ. ويحتملُ أنْ يكونَ لهم مواقفُ مُتعدِّدةٌ[2]، والتَّرتيبُ حينَئذٍ على ظاهرِهِ، ويكونُ في الكلامِ تنبيهٌ على كثرةِ أهوالِ يومِ القيامةِ؛ إذ لا يخلو موقفٌ منها مِنْ هَوْلٍ.

دلالةُ صيغةِ الأمرِ:

وجوبُ وقفِ المشركينَ

الأمرُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ للوجوبِ؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا مُقتضيَ للعدولِ عنهُ، فيُفيدُ الكلامُ أنَّهُ يجبُ على الملائكةِ وقفُ المشركينَ للسُّؤالِ، والغرضُ مِنْ ذلكَ: توبيخُهم[3] وسؤالُهم، بحسب ما يدلُّ عليهِ سياقُ الكلامِ.

نُكتةُ فصلِ ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾:

وَقفُ المشركينَ لسؤالِهم وتوبيخِهم

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ تعليليٌّ لهُ[4]، كأنَّهُ لمّا أُمِرَ الملائكةُ بوقفِهم، سألوا: لمَ نَقِفُهم؟ فأُجيبَ: بأنَّ وقفَهم لأجلِ أنْ يُسألوا سؤالَ توبيخٍ وتبكيتٍ.

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 242.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 8، والخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 266.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 469، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 97.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 210.

نُكتةُ توالي المؤكِّداتِ:

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ بـ (إنَّ) واسميَّةِ الجملةِ؛ للدّلالةِ على أنَّهُ أمرٌ ثابتٌ مُتحقِّقٌ يقينًا لا يُشَكُّ فيهِ؛ لأنَّ إخبارَ اللّهِ تعالى واقعٌ لا محالةَ، وفي ذلكَ مزيدُ مبالغةٍ في تهويلِ الخَطْبِ وتفظيعِهِ.

المجرمونَ موقوفونَ يقينًا يومَ القيامةِ

بلاغةُ التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ المجموعِ:

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ المجموعِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾؛ للتَّنبيهِ على ثباتِ هذا الأمرِ وتحقُّقِهِ، وذلكَ يمدُّ مقامَ التَّهويلِ، فالصّيغةُ توحي برُسوخِ الأمرِ.

طولُ العذابِ النَّفسيِّ للمشركينَ

نُكتةُ حذفِ المسؤولِ عنهُ:

حُذِفَ المسؤولُ عنهُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾، وجيءَ بهذهِ الجملةِ المُطلَقةِ الجامعةِ؛ لجمعِ الهمومِ على المشركينَ؛ لتذهبَ أوهامُهم كلَّ مذهبٍ، فلا تبقَى حسرةٌ إلّا حضرَتْهُم، ولا مصيبةٌ إلّا علَتْ قلوبَهم، فإنَّ المكلَّفَ كلَّهُ ضعفٌ، وموقفُ السُّؤالِ عليهِ أعظمُ حسرةٍ[1]. وقد ذَكرَ جمهورُ المفسِّرينَ أنَّ المرادَ أنَّهم يُسألونَ عن عقائدِهم وأعمالِهم، ويوقَفونَ على قُبْحِها[2]، وجوَّزَ بعضُهم أنْ يكونَ السُّؤالُ ما ذُكِرَ بعدَ ذلكَ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصّافات: 25]، أي: أنَّهم يُسألونَ توبيخًا لهُم[3].

العبدُ مسؤولٌ عن كلِّ شيءٍ يومَ القيامةِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الزَّجْرةُ والصَّيحةُ:

الزَّجْرةُ في اللُّغةِ: الصَّيحةُ الَّتي يُزجَرُ بها، كزَجْرِ النَّعَمِ والإبلِ عندَ الحثِّ[4]، والصَّيحةُ: الصَّوتُ العالي[5]، وقدِ اختيرَتِ الزَّجْرةُ

الزَّجْرةُ أنسبُ بمقامِ إظهارِ القدرةِ والعظَمةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 210.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 469.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 329، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 102.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 326.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صيح).

هنا، وعُبِّرَ بها عن النَّفخِ في الصّورِ؛ لأنَّها معَ دلالتِها على عُلوِّ الصَّوتِ تدلُّ على زَجْرِ الموتى عن الرُّقودِ في القبورِ، وتحثُّهم على القيامِ منها، والحضورِ في موقفِ القيامةِ[1]، فهي أنسبُ بمقامِ إظهارِ القدرةِ والعظَمةِ.

يومُ الدّينِ ويومُ الفصلِ:

المؤمنونَ أهلُ الإحسانِ، والمشركونَ أهلُ الإساءةِ

يومُ الدّينِ ويومُ الفصلِ اسمانِ ليومِ القيامةِ، يدلُّ الأوَّلُ منهما على المجازاةِ على الأعمالِ[2]، ويدلُّ الثّاني على الفرقِ بينَ الخَلْقِ، وعلى التَّمييزِ بينَ الحقِّ والباطلِ[3]، وقدِ اختارَ المشركونَ التَّعبيرَ بيومِ الدّينِ؛ لخوفِهم مِنْ سوءِ الجزاءِ، أو لأنَّهم كانوا في الدُّنيا يُخبَرونَ بالبعثِ والجزاءِ، فلمّا رأوا البعثَ أيقَنوا بالجزاءِ بعدَهُ، واختيرَ في الجملةِ الثّانيةِ يومُ الفصلِ تقريعًا لهُم؛ لأنَّهم يحسبونَ أنَّهم مُحسِنونَ، فأُخبِروا بأنَّ هذا اليومَ يومُ الفصلِ بينَ المُحسِنِ والمُسيءِ، فاليومَ يظهرُ أنَّهم أهلُ الإساءةِ، وأنَّ المؤمنينَ الموحِّدينَ الَّذينَ كانوا يستهزؤونَ بهِم هم أهلُ الإحسانِ والإكرامِ. وهذا على أنَّ الجملةَ الثّانيةَ مِنْ كلامِ اللّهِ أو مِنْ كلامِ الملائكةِ، بحسبِ ما هو الظّاهرُ[4].

السَّبيلُ، والصِّراطُ، والطَّريقُ:

طريقُ المشركينَ إلى جهنَّمَ مستقيمٌ قاصدٌ

الطَّريقُ: ما يُسلَكُ مطلَقًا. والسَّبيلُ: ما هو معتادُ السُّلوكِ، ولذلكَ يُستعمَلُ كثيرًا في الطَّريقِ الَّذي فيهِ سهولةٌ، وتكثرُ إضافتُهُ في القرآنِ إلى لفظِ الجلالةِ؛ إشارةً إلى سهولةِ الوصولِ إليهِ سبحانَهُ. والصِّراطُ: ما لا اعوجاجَ فيهِ يمنةً ويسرةً[5]. وقدِ اختيرَ هنا لدلالتِهِ على أنَّ طريقَ المشركينَ إلى جهنَّمَ مُمهَّدٌ، لا اعوجاجَ فيهِ، بل هو معلومُ النِّهايةِ، يُزاد على ذلكَ ما سبقَ مِنْ نكتةِ التَّهكُّمِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 326، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 72.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 39، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 77.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 39.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 40، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 77.
(5) محمد محمد داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 281، 284.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»